القضية الفلسطينية :الفواعل والمشتركات في معادلة الشرق الأوسط الجديد

م.م. ياسر جعفر حيدر
Yasser.jaafar2023@uomustansiriyah.edu.iq
م.د. ياسر علي حداد
y.haddad@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية.

ملخص البحث:

هذه الدراسة محاولةُ ساعيةُ لرصد جملة من الحقائق والوقائع التاريخية الهامة وذات الإسهام الكبير في تشكيل مسار سيتم تتبع مجرياتهُ، دون التغاضي عن العديد من الوقائع الأخرى الجديرة بالذكر. إن ما نحاول استعادته هو ما سيخط سياقاً تاريخياً واضحاً يضمن لهذه الدراسة عنصرها التاريخي الساند ضمن حيز غزير بالوقائع التاريخية في قضية لطالما عُدت بالمركزية والرسوخ في الضمير العربي والإسلامي، مروراً بعدة محطات (للمقاومة الفلسطينية) وصولاً إلى (طوفان الأقصى)، نقطة التحول المفصلية الأكثر اتساعاً في وقتنا الراهن، والتي بدورها منحت مبرراً جديداً لإسرائيل وحلفائها لإعادة صياغة معادلة جديدة داخل منطقة (الشرق الأوسط). ستحاول الدراسة قراءتها بأسلوب استشرافي وفقاً لما هو موجود من معطيات حالية.

الكلمات المفتاحية: فلسطين، اسرائيل، المعادلة الجديدة، الفواعل، الشرق الأوسط.

The Palestinian issue: factors & participants in the new Middle East equation

Assist. Lectuer. Yasser Jaafar Haider
Assist.Dr. Yasser Ali Haddad
Al-Mustansiriyah University / College of Political Sciences

Abstract:

This study represents a deliberate effort to document a series of significant historical facts and events that have profoundly contributed to shaping a trajectory whose developments will be carefully examined. While doing so, it will not overlook other noteworthy occurrences that merit attention. Our objective is to recover and outline a clear historical narrative, providing this study with its foundational historical dimension within a context abundant with pivotal events. These events revolve around an issue long regarded as central and deeply rooted in the Arab and Islamic conscience, encompassing key milestones of Palestinian resistance and culminating in the) Al-Aqsa Flood .(.This pivotal turning point in our contemporary era has, in turn, provided Israel and its allies with a fresh justification to redefine the geopolitical equation in the Middle East. The study seeks to interpret this shift through a forward-looking approach, guided by the current available facts.

Keywords : Palestine, Israel, the new equation, the actors, The Middle East .

المقدمة:

(طوفان الأقصى) حدث مفصلي أفرز وقائع جديدة بعد مرور أكثر من عام على حدوثه، نقترح إعادة النظر في الأحداث السابقة لفهم أوسع وأعمق. ركزت الدراسة على دور العملية في خلق مساحة سانحة لإدخال لاعبين جدد للساحة الإقليمية وما ترتب عليها من تداعيات أثرت في مسارات المقاومة وتحولاتها، حيث إن اتساع دائرة الصراع بمشاركة أطراف جديدة مثل (إيران) و(لبنان)، وربط ذلك بالمشتركات بين المقاومة الفلسطينية وبقية حركات المقاومة العربية والإسلامية في المنطقة، بعيداً عن النزاع التقليدي العربي - الإسرائيلي أوجدت عملية (طوفان الأقصى) مجموعة من المتغيرات اللاحقة، سعت الدراسة إلى تفسير متغيراتها الإقليمية والدولية في سياق إعادة تشكيل معادلات الشرق الأوسط. واستعرضت رؤى القوى الفاعلة، بما في ذلك (إسرائيل) و(محور المقاومة)، مع تحليل الأهداف والتوجهات المستقبلية. ووضعت مفهوم (المقاومة) ضمن إطار واسع يشمل التحولات والتطورات التي أحدثتها العملية، والتأكيد على أهمية فهم الأدوار الجديدة للدول والجماعات في صياغة (معادلة الشرق الأوسط الجديد).

أهمية البحث: تتجلى أهمية موضوع الدراسة في محاولة تحليل نوع التنافس المتغير في (منطقة الشرق الأوسط) بين الـ(جيو- سياسي) تحوله الى الـ(جيو- اقتصادي) وفقاً للعديد من الأسباب والمتغيرات وصولاً الى (عملية طوفان الأقصى) التي غيرت التنافس بل تم توظيفها لتكون بداية لتكوين (معادلة جديدة) للمنطقة وفقاً لرؤى استراتيجية غربية مرنة ومتغيرة.

هدف البحث: يهدف البحث الى محاولة كشف جانب استراتيجي (متغير) لمخطط لهُ دور كبير في خلق وتشكيل الملامح المستقبلية للمنطقة والوقوف على ابعاد هذا المخطط وقراءته بطريقة استشرافية لربما تكون صحيحة.

إشكالية البحث: تتمثل إشكالية البحث في سؤال مركزي هو: ما طبيعة المتغيرات المتداخلة والتي كان لها دور فاعلً في (المقاومة) وطبيعتها المتعرضة للانقسامات العميقة لمدة طويلة، حاولت الدراسة تغطيتها مع التركيز على نتاجاتها الأخيرة، التي امتدت وصولاً الى (عملية طوفان الأقصى). غزارة الاحداث التاريخية وطول المدة الزمنية جعل موضوعة الرصد واستقراء الماضي امراً صعباً، ثم زاد تسارع الاحداث في الفترة الأخيرة إشكالية الدراسة ناهيك عن استشراف المستقبل.

فرضية البحث: تفترض الدراسة ان (القضية الفلسطينية) وجميع الفواعل المشتركة في المقاومة والنضال المسلح قد تم اخضاعها أو تطويعها بطريقة غير مباشرة، لمخطط أعد مسبقاً ضمن استراتيجية طويلة الأمد حتى يصل الحال الى ما هو عليه لتباشر إسرائيل وحلفائها التغيير وتعيد صياغة أو تشكيل معادلة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط.

مناهج البحث: اعتمد البحث على التوليف بين مجموعة من المناهج البحثية والأساليب لوضع الدراسة ضمن مساراً جاد يمنحها طابعاً أكاديمي يحاول الوصول والاقتراب من الحقائق والاستنتاجات. تم توظيف أدوات المنهج التاريخي والتحليلي ومن ثم الاستنباطي والجدلي بصورة تكاملية.

هيكلية البحث: اشتملت الدراسة في متنها على ثلاثة مباحث ومقدمةُ ومن ثم خاتمةُ جاء المبحث الأول تحت عنوان - (الإطار التاريخي للمقاومة وطوفان الاقصى: البدايات والتداعيات). المبحث

الثاني تضمن - (الجوانب المشتركة بين المقاومة والقضية الفلسطينية).المبحث الثالث – (منطقة الشرق الاوسط ضمن المعادلة الجديدة).

●المبحث الاول: الإطار التاريخي للمقاومة وطوفان الاقصى: البدايات والتداعيات.

لطالما اتسقت القضية الفلسطينية منذ وعد بلفور وتوجه المئات من اليهود اجتياحا للأراضي الفلسطينية لتأسيس دولتهم غير الشرعية، مع الرفض العربي التام للدول الاسلامية بشكل عام والجماهير العربية بشكل خاص، ومنذ ذلك الحين ولغاية الان صاحب الوجود اليهودي في المنطقة العربية الكثير من العقبات والصراعات من أجل حرية الشعب الفلسطيني والمرتبطة بشكل جذري مع الدين الاسلامي، ولما لها تأثير على الوحدة العربية والقومية وحتى الاسلامية.

●المطلب الاول: المقاومة قبل طوفان الاقصى وفواعلها المحلية والاقليمية:

كان عام وعد بلفور 1917م، بمثابة الطعنة الاولى للفلسطينيين والامة العربية التي كانت دولها تتشكل بعد بوادر انتهاء السيطرة العثمانية عليها، إذ جاء مع تأييد حكومة بريطانيا المنتدبة لفلسطين بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لتستمر منذ ذلك الحين ويلات الشعب الفلسطيني من جراء السياسات البريطانية وتسهيلهم لدخول المئات من اليهود، الامر الذي أدى إلى استياء شعبي كبير من الفلسطينيين وتشكيلهم لمنظمات سرية شبه عسكرية لمواجهة الجماعات والمنظمات اليهودية المشكلة بمساندة البريطانيين (الهاغانا) منها، والمسؤولة عن مجازر كثيرة بحق الفلسطينيين والتي تسلمت شحنات كبيرة مهربة من الاسلحة لمنظمتهم وبموافقة دولة الانتداب، ومن بين المنظمات الفلسطينية السرية المتشكلة جماعة اليد السوداء والتي كانت بقيادة عز الدين القسام والذي استشهد عام 1935 إثر كمين بريطاني له، ومنذ اغتيال القسام اشتعل فتيل الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 للحد من الاستيلاء اليهودي على الاراضي الفلسطينية لاستيعاب الهجرة اليهودية المتزايدة، التي اتسعت بعد إصدار جون سمبسون تقريره السياسي الذي بين فيه بأنه لم تعد هناك أراضي زراعية لإقامة مستوطنات لليهود الجدد. [1]

استفاد اليهود من الحرب العالمية الثانية وماحل بهم من جراءها وتوظيف الازمة لصالحهم من خلال جذب تعاطف الدول المنتصرة والغربية والاستناد لما جاء في صك الانتداب والمطالبة بإنشاء وطن لهم، ونتيجةً للازمات الداخلية وتصاعد الصراع بين الحركات اليهودية المتشددة والمقاومة الفلسطينية اضطرت بريطانيا إلى إنهاء الانتداب في المنطقة وتسليمها الى الولايات المتحدة الامريكية عام 1948 وبداية إعلان الدولتين الفلسطينية واليهودية، بعد إكمال الاجراءات . [2]

تسلمت امريكا القضية الفلسطينية رسمياً من بريطانيا عام 1947م ومنذ ذلك الحين أعلنت تأييدها لإعلان تقسيم فلسطين لأربعة مناطق حسب خطة (موريس غرادي) والذي حدد مناطق المساحة اليهود بـ 17%، لكن العصابات اليهودية لم تكتفي بهذا القدر وبدأت بارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين وكانت مجزرة قرية دير ياسين الاخطر منها، إذ أبيدت المنطقة عن بكرة ابيها

[1] . سالم، فوزي. "السياسة البريطانية في فلسطين ودورها في تسهيل الهجرة اليهودية." مجلة الدراسات العربية 4، عدد 1 (2010):ص 80-98.

[2] . محمود، حسين. الولايات المتحدة والشرق الأوسط: من الانتداب إلى النفوذ العالمي. بيروت: دار الكتاب العربي، 2014.

وقتل جميع سكانها، ليتم بعد ذلك تهجير أكثر من 950 ألف فلسطيني وإعلان المنظمات اليهودية الارهابية عن قيام دولتهم (إسرائيل) عام 1948م. [1]

وفي عام 1948م تحولت القضية الفلسطينية من قضية محلية إلى دولية وقومية تخص الدول الاسلامية جمعاء بدخول فواعل جدد لمواجهة العصابات اليهودية وإرجاع الحق الفلسطيني لأصحابه، فانتفضت الدول العربية آنذاك (العراق والاردن وسوريا ومصر والسعودية)، لكن اختلاف موازين القوى والدعم الغربي الكبير لليهود ادى إلى هزيمة العرب بهذه الحرب والتي أطلق عليها بحرب النكبة.

وتوالت المجازر والمواجهات المحلية بين الفلسطينيين واليهود بعد عام 1948م وتزايد أعداد المهجرين من سكان البلد والهجرة اليهودية العكسية، لتشهد الدول العربية الاقليمية انتفاضات منددة للتجاوز اليهودي والمطالبة بإعادة حق الفلسطينيين. لكن كل ما تقدم لم يغير مفهوم القضية الفلسطينية أو انتقالها بشكل رسمي كقضية إقليمية إلا بعد حرب 1967م و 1973م وتدخل مصر وسوريا كلاعبين جدد في الساحة بمواجهة اليهود وتلاها في عام 1982م الاجتياح اليهودي للبنان للقضاء على المقاومة الفلسطينية في الاراضي اللبنانية، إذ اعتبرت الحرب على لبنان بداية للتدخل الرسمي للمقاومة غير الفلسطينية المتمثلة بالمقاومة اللبنانية (جيش لبنان الجنوبي) وبعدها تأسيس حزب الله رسمياً في العام ذاته، ومنذ ذلك الحين ولغاية انتهاء الحرب على الجنوب اللبناني وانسحابهم عام 2000م، لم تتوقف المناوشات بين طرف المقاومة اللبنانية واليهود، ومن الجدير بالذكر إن التنسيق بين منظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة اللبنانية كان على أعلى مستوياته.

لكن يجدر بنا القول بأن القضية الفلسطينية مرت بمنعطفات خطيرة على الفلسطينيين ذاتهم خاصة بعد اتفاق أوسلو 1993م، والذي أعتبره الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات بالخدعة الكبيرة، والذي نص على اعتراف فلسطين بحق دولة إسرائيل بالعيش بسلام والتوصل إلى حل للقضايا العالقة بينهم من خلال المفاوضات، وبالمقابل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطيني وإقامة حكم ذاتي إنتقالي فلسطيني في الضفة الغربية وغزة، الامر الذي قوض من المقاومة الفلسطينية في حين استمر حزب الله اللبناني بمواجهة الوجود الاسرائيلي بمفرده وقتها.

المطلب الثاني: طوفان الاقصى نقطة تحول من المناطقية للإقليمية.

اندلاع الحروب المتوالية ضد الكيان الإسرائيلي في سنوات مختلفة لعلها حالة اوجدت طابعاً إقليمياً في المواجهة نفسها. على سبيل المثال حرب 1967م (حرب الأيام الستة) التي وقعت بين 5 و10 يونيو 1967م، وكانت فيها مواجهة (إسرائيل) وحلفائها من قبل العديد من الدول العربية (مصر، الأردن، سوريا) وكان فيها دعم غير مباشر من (العراق، الجزائر، السعودية) وغيرها من الدول العربية الأخرى، وصولاً الى حرب 1973م (حرب أكتوبر/ تشرين التحريرية) كانت تهدف لاستعادة الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل في 1967م، ونفس أطراف الصراع مع الاخذ بزيادة عدد الدول العربية الداعمة مثل الكويت والمغرب. وحتى عام 1982م ونشوب حرب (الاجتياح الإسرائيلي للبنان/حرب لبنان الأولى) والتي بدأت في يونيو 1982م، وكانت أشبه بحملة عسكرية إسرائيلية ضد منظمة التحرير الفلسطينية على الأراضي اللبنانية. كلها احداث ذات ابعاد وانعكاسات هامة تزيد من التوقعات المرتقبة كاستعادة الأراضي المحتلة بصورة شبه كاملة. لكن التحول بأسلوب التنافس افضى حالة من الفتور أتجاه القضية الفلسطينية، نتيجة لإخضاع إسرائيل

[1] . أبو بكر، علي إبراهيم. التدخل الأمريكي في القضـية الفلسـطينية: من الانتداب البريطاني إلى خطة التقسـيم. القاهرة: دار الفكر العربي، 2010.

وحلفائها من الغرب المنطقة بالعديد من القضايا ذات الشأن الداخلي، كـ(الحرب على الإرهاب والربيع العربي وفلول تنظيم داعش الإرهابية، والجماعات الإسلامية المتطرفة) أحداث أخذت حيزاً كبيراً من مساحة الاشتغال العربي داخل المنطقة. [1]

جاءت (عملية طوفان الأقصى) كمحاولة لإعادة حالة الزخم للقضية الفلسطينية وإنعاشها من الموت الاكلينيكي الإسرائيلي والتي انعكست تداعياتها على الإقليم بشكل عام لتداخل وتشابك أطراف الصرع، واختلفت عن سابقاتها من الحروب التي شاركت فيها فواعل دولية إقليمية أخرى كونها انطلقت من العمق الفلسطيني (حماس) في الوقت الذي تعمل به القيادة الفلسطينية ودول الجوار بأسلوب التهدئة والتفاوض والتجييش لمواجهة إيران، إذ أنها كانت ساحة لمعركة ضد الكيان الصهيوني والمصاحبة لعدة ساحات بنفس الوقت متبعة بذلك اسلوب المشاغلة والاستنزاف. فضلا عن تزامنها مع عمليات (التطبيع العربي _ الإسرائيلي) واستكمالاً لمشروع الاتفاقات الإبراهيمية في الوطن العربي.

أبرز المتغيرات الإقليمية ولعل أهمها لعملية الطوفان عودة التنافس الـ(جيو سياسي) لمحاور الصراع لتشابك المصالح الـ(جيو اقتصادية) بعد ما كانت وحدات النظام الدولي والإقليمي تتوجه لبناء طريق ربط اقتصادي عبر (المملكة العربية السعودية) و(إسرائيل) ليصل إلى (الهند) و(أوروبا) ولكسر مشروع (الحزام والطريق الصيني) في الشرق الأوسط. [2]

هزت (عملية طوفان الأقصى) ركائز النظام الإقليمي وفتحت الباب لعدة سيناريوهات جديدة قد تسهم في تغيير في موازين القوى داخل المنطقة، بينت العملية مدى تراجع مستوى الردع الإسرائيلي وضعفه بتمكن (حماس) من تنفيذها في (العمق الإسرائيلي).

يجدر القول ان (عملية طوفان الأقصى) افشت أسرار الأوضاع العربية الإقليمية القائمة على الاحادية القطبية وبينت مدى تخليها عن القضية الفلسطينية حين أظهرت خنوع وتواطؤ بعض الدول العربية وجبن البعض الاخر.

أعاد الطوفان الادراك العالمي الى حجم الرغبة الامريكية واهتمامها بالسيطرة المحكمة على المنطقة بعد ان بدأت العديد من الرؤى المتوقعة مغادرة السيطرة الامريكية ورغبتها في التوجه الى المحيط الهادي انطلاقاً من فكرة مفادها "ان الولايات المتحدة قد رتبت أوراق ملف منطقة الشرق الأوسط ولا رغبة لها في ان تبعثرها مرة أخرى". لكن تنامي الدور الإيراني وظهور العديد من أولويات السياسة الاستراتيجية لطهران التي عمدت نحو زيادة الدور الفاعل لحلفائها عقدت موقف السيطرة الامريكية المعهودة التي وجدت نفسها بحاجة الى إعادة تشكيل التوازنات التي أظهرت بعداً جديداً من الممكن ان نسميه (الفواعل من غير الدول) وما يمكن ان تلعبه من دور حاسم في حال توفر المساحة الشاغرة والظروف المناسبة عندما تغيب الأدوار المنتظرة من قبل الدول الوطنية لارتباطها وتشابك مصالحها مع الغرب.

- **المبحث الثاني: الجوانب المشتركة بين المقاومة والقضية الفلسطينية.**

لعل جُل ما ذكر سابقاً يعطي فكرة أو تصوراً واضحاً عما يمكن ان نسميه بالمشتركات بين المقاومة كوجود داخل المنطقة والقضية الفلسطينية، لكن المقاومة وكافة تمثيلاتها مرت بسياق تاريخي لم

[1] . إسماعيل، نبيل. "حرب أكتوبر 1973: التحولات الاستراتيجية في الصراع العربي الإسرائيلي." مجلة الشؤون الفلسطينية 21، عدد 3 (2014): 112-126.

[2] . عيسى، محمود. الحزام والطريق: التحديات والفرص في الشرق الأوسط. القاهرة: دار الفارابي، 2019.

يكن مساره سهلاً أو نقياً دون تأثيرات غربية شابت أجواء النضال بل حتى المحددات التي وقفت ضد المقاومة كانت ناتجاً أحياناً عن المقاومة نفسها.

المطلب الاول: عناصر المقاومة ضد اسرائيل.

لا يمكن تجاهل مسألة التحرر الوطني كمفردة مترسخة في اذهان مجتمعات الوطن العربي الذي عانى ما عاناه منذُ بدايات التأسيس ورسم خارطة الوطن العربي بعد نهاية الحقبة الاستعمارية التي غيرت وتلاعبت بالعديد من تمثلات الهوية الفردية والجماعية لكن كافة الممارسات الاستعمارية في وقتها كانت تساهم وتدفع لترسيخ هوية وطنية في أذهان افراده، ممارسات استعمارية ساهمت بتوافر العديد والعديد من المسببات لخلق تيارات وطنية كان الباعث الأساسي لها ومحركها الرئيس التحرر الوطني للخروج بواقع يتمنى أبنائه التحرر وتشكيل محيط (دولة) تتمتع بسيادة ضمن حدودها الإقليمية وتحتكم على حق تقرير المصير وكذلك تساهم بتدعيم هوية وطنية. [1]

حققت دول عربية عديدة هذا المبتغى المنشود وخرجت القوى الاستعمارية منها ثم بدأت الحكومات الوطنية بترسيخ نظم حكمها السياسي مع وجود بعض المؤشرات السلبية هنا وهناك. لكن فلسطين بقيت ارضاً محتلة كما أشرنا سابقاً رغم ارتباطها القيمي والهوياتي المتجذر دينياً وثقافياً عند كل العرب والمسلمين مع بقاء الاحتلال بقيت المقاومة الفلسطينية كثيمة مترسخة لم تفتك او تلغي وجودها مادام الاحتلال موجوداً. حيث لعبت المقاومة -المقصود هنا المقاومة في معناها الأكثر اتساعاً- دوراً حيوياً من خلال التصدي العربي المشترك لمحاولات الكيان الغاصب وتوجهاته التوسعية الاستيطانية ومحاولات صهر للوجود الفلسطيني وتدمير تراثه الثقافي المتجذر.

تم التخلي عن الخيار العسكري بعد حرب عام 1973م بين مصر وإسرائيل بغض النظر عن النتائج هذه الحرب لكن من اليسير القول فقدت المعادلة محور التدخل العسكري بصورته الرسمية ولم نرى أي دور صريح للدول العربية غير الدخول (بمعاهدات السلام) التي بدأت دون مراعاة لجوانب مختلفة من ضمنها ان الطرف الذي يلعب دور الوساطة هو الولايات المتحدة الامريكية، في حينها غاب عن المفاوض العربي عنصر الخبرة في الشأن الإسرائيلي الداخلي وكذلك مدى البعد الاستراتيجي الذي رسمته إسرائيل وهل هناك استعداد وقبول حقيقي لهذا الكيان الغاصب لفكرة التفاوض. فارق كبير حدث آن ذاك فشتان بين المطالبة بالخروج من الأراضي المحتلة بواسطة التهديد الجماعي واستعمال القوة العسكرية وبين الذهاب الى طاولة التفاوض التي تفرقت فيها الدول العربية وبدأت إسرائيل التفاوض مع كل دولة عربية على حدى

فكرة التفاوض نفسها تعني الاعتراف بالمقابل بل الدخول معه في محاولات لفتح مجال الحواء وتقريب وجهات النظر واحياناً تقديم التنازلات هنا سيكون كل من الطرفين معترفاً بالأخر بصورة ضمنية على أقل تقدير. دخول مصر التفاوض مع الكيان الإسرائيلي وتوقيعها معاهدة سلام منفرة كان واحداً من أهم الأسباب في نهاية التدخل العسكري الرسمي ولعلهُ أول الاعترافات العربية بهذا الكيان الغاصب. [2]

[1] . أبو زيد، فؤاد. "التحرر الوطني وبناء الهوية الوطنية في العالم العربي." مجلة السياسة الوطنية 8، عدد 3 (2019): 101-115.

[2] . بشارة عزمي. قضية فلسطين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العامة .الدوحة 2022 (155)

حتى لا نبتعد عن رصد مسار المقاومة منذ ذلك الوقت ولا ننجر خلف سرد مجريات تاريخية هامة لكنها ذات سياقات مختلفة ومتنوعة، تشبثاً في وحدة الموضوع (المقاومة) والتي اخذت مساراً جديداً او ساقتها مجريات الواقع السياسي المتغير نحو صورة من السلام أو الاستسلام... تم الانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية وقطاع غزة لكن تم تسليمها الى مصر والأردن عام 1950م وتم تجاهل الوجود الفلسطيني ومن يمثله بصورة شرعية (منظمة التحرير الفلسطينية) التي بدورها عانت في ذلك الوقت من حملات إعلامية صورتها بالإرهابية، أضافة الى حالة الضعف التي نالت من المنظمة نفسها بسبب جملة الظروف السياسية لعل ابرزها ايقاف الدعم المادي الذي كانت تتكفل به مجموعة من الدول العربية، ناهيك عن تضخم الجهاز لأداري الذي يضم الآلاف من الموظفين.

رغم كل هذه لسلبيات لكن يمكن القول ان المنظومة أصبحت النواة الحقيقة لتشكيل السلطة الفلسطينية أو بداية الدولة المنشودة ولعل أي عين فاحصة للمجريات السابق ستتوقف عند (برنامج النقاط العشر) * أول المحاولات المدروسة والمتفق عليها للوصول الى دولة وإقامة سلطة وطنية فلسطينية. سعت إسرائيل الى سلام طويل الأمد مع مصر من منطلق تقليل الجبهات المعارضة وأيضاً ابعاد أكبر واقوى الدول العربية عسكرياً من أطار الصراع العربي الإسرائيلي فلا بأس ان يكون الثمن (شبة جزيرة سيناء) مقابل نهاية أو إخراج الصراع من الإطار الدولي الى حرب إسرائيلية مع جهات غير دولتيه وجماعات مسحله اقل تنظيماً وجهوزية مثل حماس وحزب الله. [1]

استمرت المقاومة رغم كافة المتغيرات السياسية حتى بعد النجاح الإسرائيلي في الوصول الى اتفاقات سلام منفردة مع مصر وسورية والأردن، وبداية السعي الإسرائيلي لتحقيق "حالة من السلام مع فلسطين وفقاً لمعادلة الأرض مقابل السلام" والوصول الى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل وفلسطين بوساطة أمريكية وتنسيق مباشر من وزير الخارجية آنذاك (جيمس بيكر). لكن كافة هذه الجهود التفاوضية لم تخرج بما يتناسب وطموحات (منظمة التحرير الفلسطينية) مما خلق حالة من الفشل المتكرر وصولاً الى التوقف دون تفاوض.[2]

لقد توافر للمقاومة الفلسطينية العديد من العوامل التي ساهمت في استمرار واستدامة المقاومة ضد الكيان الإسرائيلي الغاصب نظراً لارتباط القضية الفلسطينية في النضال العربي ضد الهيمنة الاستعمارية الأجنبية مع بقاء دولة فلسطين المحتلة نقطة تجمع وتضامن للعالم العربي والإسلامي ورمزاً للمقاومة ضد السياسات الاستعمارية، لم تنحصر المقاومة على الجانب العسكري واستخدام القوة حيث أصبح الأدب والشعر والموسيقى والفن أدواتاً للمقاومة والحفاظ على شكل الهوية العربية الفلسطينية لمواجهة محاولات المحو القسري الاستعماري. أجيال من الشباب العربي تربت على حلم التحرر الفلسطيني وخروج الاحتلال الإسرائيلي. حيث اعتمدت القضية الفلسطينية تاريخياً على المشاركة الفعالة للشعب العربية الداعمة والمؤيدة للقضية الفلسطينية، وكثيرا ما تستمد حركات المقاومة قوتها من هذا الدعم الشعبي والحملات شعبية والاحتجاجات والمقاطعات فأظهر العالم العربي تضامنه من خلال وسائل عدة مادية او معنوية.

جدير بالذكر ايضاً حرص المقاومة الفلسطينية على لفت الانتباه الدولي والعالمي بعد ان تم تضييق دائرة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مع جهات غير دولية. فلطالما عمدت المقاومة

[1] . المصدر نفسه، [157].
[2] . عشراوي، حنان. "اتفاقيات أوسلو: تقييم نقدي." سياسة الشرق الأوسط 10، العدد 1 (2003): 37-45.

الفلسطينية حشد الرأي العام العالمي كوسيلة ضغط على مختلف الأصعدة واستغلال العديد من المناسبات للإشارة الى جملة المخالفات والانتهاكات الاسرائيلية للقانون الدولي، مثل تشييد العديد من المستوطنات غير القانونية وجملة الانتهاكات الواضحة لحقوق الإنسان. عمل تكرس بصورة ممنهجة واحياناً كثيرة كان عفوياً الغاية منه نشر الوعي العالمي حول قضية فلسطين.[1]

يمكن القول بأن فكرة المقاومة وتجسيدها على ارض الواقع هي واحدة من ضمن الأوراق التي مارستها غالب الدول العربية لكن قضية فلسطين امتازت بطابع مختلف فبعيداً عن الارتباط القومي الثقافي الديني أيضاً مارست المقاومة استراتيجيات متنوعة تشمل مجموعة من الأساليب التي تعمد الى تعزيز القضية الفلسطينية. وكان الكفاح المسلح (المقاومة)، كما يتبين من أنشطة جماعات مثل (حماس) والجهاد الإسلامي أحد الأشكال البارزة لهذه المقاومة. دون التغاضي عن دور المقاومة السياسي الذي اخذ ببعض أوجه التمثيلات الدبلوماسية الدولية والجهود نحو الحصول على الاعتراف بفلسطين كدولة، مثل عمل منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة. لقد توفرت أوجه عديدة للمقاومة ـ الناعمة مثل (العصيان المدني، والمقاطعات، وحركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) كلها استراتيجيات ذات أهمية متزايدة في السنوات الأخيرة. [2]

جانب أخر لمسار المقاومة حتى تتكامل الرؤية التي تتبناها الدراسة لفكرة المقاومة الفلسطينية في مسار نعتقد بأنه سيكون قريباً من الحقيقة وسرد مجموعة من الوقائع التاريخية التي ستساهم في تشكيل أساساً تاريخي وبدايةً لمرحلة جديدة وصياغة معادلة لم تنتهي الى يوم كتابة هذه الدراسة، سنتناولها بالتفصيل تباعاً. فكعادة كل التشكيلات السياسية واجهت المقاومة الفلسطينية جملة من التحديات الوحدة والانقسام واجهت المقاومة الفلسطينية العديد من هذه التحديات لعل أبرزها كان الانقسامات الداخلية بين الفصائل مثل (فتح) و(حماس) التي أسهمت وبشكل كبير في ضعف وتشتيت جهود المقاومة الجماعية ضد الاحتلال. وامتدت هذه الانقسامات في كثير من الأحيان إلى العديد من الدول العربية والاسلامية، التي يعطي بعضها الأولوية لمصالحها الوطنية على الدعم الموحد لفلسطين، مما يؤدي إلى درجات متفاوتة من الدعم للقضية الفلسطينية بشكل عام والمقاومة بشكل خاص.

كذلك في اطار أكثر اتساعاً تؤثر التطورات السياسية الإقليمية والعالمية بشكل كبير على المقاومة والقضية الفلسطينية. أحداث كثيرة هي التي مرت وانقضت لكنها أثرت وتأثرت بالقضية الفلسطينية التي ظلت قضية مركزية راسخة في الذهن العربي. أحداث مثل (الحروب العربية الإسرائيلية) و(الربيع العربي) و(اتفاقيات التطبيع بين الدول العربية وإسرائيل) كلها أحداث أضحت كمسببات وبواعث في إعادة تشكيل ديناميكيات المقاومة التي عملت على تكييف استراتيجياتها للاستجابة للتحالفات المتغيرة والضغوط الاقتصادية المستمرة والتدخلات الخارجية مما يعكس الترابط بين القضية الفلسطينية والسياسة في الشرق الأوسط.

انطلاقاً من هنا سيتم تسليط الضوء على الطبيعة المقاومة وتوضيح المسار المساهم في تشكل الاسس والمشتركات الحقيقية بين فواعل المقاومة وتمثيلاتها التي انعكست على ارض الواقع ضمن

[1] . خالدي، رشيد. هوية فلسطين: بناء الوعي الوطني الحديث. نيويورك: جامعة كولومبيا، نشر الترجمة موسى البديري مؤسسة الدراسات الفلسطينية .1997، [72-73].

[2] . صايغ، يزيد. المقاومة الفلسطينية: دور السياسة والكفاح المسلح. كامبريدج: جامعة كامبريدج، 1997، [844].

هدفا الأساسي مقاومة الكيان الغاصب وصولاً الى نقطة الالتقاء بين حزب الله و إيران وحماس ثم طوفان الأقصى وكل تداعياته.

●المطلب الثاني: الاسس المشتركة بين فواعل المقاومة.

تنوع الأدوار بين فصائل المقاومة الفلسطينية أسهم في إيجاد سبل مختلفة ومتنوعة انتهجتها هذه الفصائل بطرق فريدة. اختلافات فكرية أيديولوجية ساهمت سلباً وايجاباً في صيرورة المقاومة وكافة ترسيماتها حتى الاختلافات الجوهرية كانت تصل دائماً الى النقطة الجوهرية وراء كل هذه التشكيلات -المقاومة المستمرة- للوجود الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية ولكن التحديات والانقسامات المستمرة فتحت المجال لإيجاد دعم خارجي متعدد ومختلف المصادر هذا من جانب ومن جانب اخر كانت مخيمات اللاجئين هي نواة المقاومة الفلسطينية والتي توزعت في لبنان وسورية والأردن ثم اغلاق ملفات كل هذه المخيمات بعد توقيع اتفاقيات السلام دون المطالبة بعودة السكان الأصليين (اللاجئين) لأسباب مختلفة لكن ابرزها كان محاولة إخراج هذا المستوطنات التي انتهت بأن تصبح مصادراً للازمة داخل كل دولة عربية تواجدت فيها ففي الأردن على سبيل المثال لا الحصر تحولت التوترات بين فصائل التحرير الفلسطينية والجيش الأردني (الرسمي) الى حالة الصدام العسكري المسلح وما هو أشبه بالحرب الاهلية. [1]

بعيداً عن السنوات الطوال التي انتهت بعملية سلام غير منطقية تم عزل (اللاجئين الفلسطينيين) في الضفة الغربية وقطاع غزة، وبدأ العمل بتشييد الجدران العازلة بصورة متسارعة لإخفاء السكان الأصليين داخل أراضيهم. حدثت في تلك الاثناء حالات من الانقسامات العميقة بين حركتين (حماس) و(فتح) لتصدرهم المشهد السياسي في تلك المرحلة. لكن ما يخدم مسار بحثنا هنا هو فوز حركة المقاومة الاسلامية (حماس) في انتخابات 2006م حينها حصلت على 74 من أصل 132 مقعدا. فوز حاسم كان اثباتاً واضحاً للعالم اجمع بأن المجتمع الفلسطيني قد ضاقت به السبل الباحثة عن السلام ضمن طاولة الحوار والمفاوضات، وأصبح مؤيداً لتوجهات المقاومة العسكرية. تعمقت الانقسامات بين حركتين فتح وحماس وانتهت بأن يتقاسم الطرفان السلطة بعد الفشل في تشكيل حكومة وحدة وطنية بينهما استولت فتح على الضفة الغربية كرد فعل على استيلاء حماس على قطاع غزة. [2]

الاختلاف الكبير في الوسائل والاستراتيجيات كان أحد الأسباب لترسيخ الانقسامات بين (حماس) و(فتح). حيث تسعى الأولى الى المقاومة المسلحة للاحتلال الإسرائيلي في حين تتبنى الثانية نوعاً ما فكرة التخلي عن المقاومة بعد ان استعملتها كوسيلة لفترة طويلة فهي تنتهج أساليب تنسيقية مع إسرائيل للوصول الى حلول سلمية عن طريق المفاوضات. ساهم هذا الاختلاف في افساح مجال لدخول أطراف إقليمية ودولية ،ولعل الوجود الإيراني ضمن هذه المسألة هو وجود قديم وفقاً لمرحلة تأسيسية لربما قد تعود بنا الى ما بعد نجاح الثورة الإسلامية في ايران في ذلك الوقت بدأت بتقديم نفسها الى العلام الإسلامي بانها زعيمة المقاومة ضد إسرائيل ورأت في (حركة حماس) حليفاً مهماً يجب كسبه الى صفوفها رغم العديد من الفوارق الأيديولوجية والطائفية بصورة أدق تجاهلت إيران هذا الجانب منذ بداية الثمانينيات أدخلت (حماس) ضمن حلفائها الذين سيخدمون

[1] . الغباشي، منى. "الفصائل والتجزئة: المقاومة الفلسطينية في العالم العربي." مجلة الشرق الأوسط 59، العدد 4 (2005): 511-528.

[2] . ناثان ج. براون، "الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006: نقطة تحول في السياسة الفلسطينية." مجلة الشرق الأوسط 61، العدد 3 (2007): 405-420.

أهدافها الاستراتيجية في العمق العربي والإقليمي بذريعة مواجهة النفوذ الإسرائيلي ودعم المقاومة الفلسطينية.[1]

بدأت (إيران) وفي وقت مبكر إعلان دعمها الرسمي لحماس وعمدت تقديم الدعم اللوجستي والمالي. وبدأ الدعم الإيراني بالتزايد عندما وجدت حماس موطئ قدم لنفسها في العملية السياسية الفلسطينية ناهيك عن الدور العسكري وتنفيذها العديد من العمليات العسكرية الناجحة ضد إسرائيل. كل ذلك قد تم من خلال (حزب الله) الحليف الاقدم لإيران كوسيط لتزويد حماس بالأسلحة وكافة التجهيزات الأخرى استغلت إيران المشتركات العديدة والاحداث السياسية التي مر بها حزب الله الذي لم يخرج غير من العباءة الإيرانية هنا استعملت (حزب الله) في لبنان ليكون مصدر نفوذ إيراني في فلسطين ضمنت من خلاله وجوداً دائماً ومستمراً. حتى الحصار الاقتصادي على غزة كان واحداً من الخطوات التي استعملتها إيران لترسيخ العلاقة مع (حماس) حيث قدمت لها مساعدات مالية ضخمة لمواجهة الحصار واثبات مدى دعمها العميق لهذه القضية.

زودت (إيران) (حماس) بالأسلحة الصواريخ والقذائف وغيرها كي تستخدمها حماس في المواجهات العسكرية مع إسرائيل، وضمنت التدريبات المكثفة لمقاتليها من خلال خبراء عسكريين إيرانيين على أراضي لبنانية بوساطة (حزب الله) أضافة عنصر الخبرة لعناصر حماس في حرب العصابات، وتصنيع الصواريخ، وبناء الأنفاق. أيضاً ضخت إيران الأموال عشرات الملايين من الدولارات سنويا لدعم برامج حماس العسكرية في غزة. [2]

اتسعت المسألة لتضم كل من لبنان متمثلة (بحزب الله) الوسيط الدائم وإيران كدولة إسلامية تحاول الوقوف دائماً في وجه الاحتلال الإسرائيلي. لكن بتفسيرات أخرى يرى العديد من المفكرين الغرب أو سواهم ان التحركات الإيرانية هي ليست سوى وسيلة للبحث عن مساحة داخل المنطقة وكسب حلفاء جدد يساعدون أو يخدمون مخطط إيرانياً أو مشروعاً حالماً لم تنفك الجمهورية الإسلامية بكل خطوطها القيادية السابقة والحالية من السعي لتحقيقه. بطريقة أو بأخرى تم احتساب كافة أوجه المقاومة المتحالفة مع إيران محوراً مغايراً جديد ذلك بناءً على مجريات أخرى ساهمت ستكون ساندة لهذه الرؤيا. فما جرى في سورية من حرب أهلية عام 2011م خلق حالة من التوترات الجديدة من نوعها بين (حماس) و(إيران) حين انحازت حماس إلى المعارضة السورية بسبب التشابه الأيديولوجي (الطائفي السني) حينها اعتبرت (إيران) الحليف القوي لنظام (بشار الأسد) موقف حماس بمثابة خيانة. مما أدى إلى برود مؤقت في العلاقات حيث تم تقليص المساعدات الإيرانية بشكل كبير بدوره أيضاً قلص (حزب الله) تعاونه هو الاخر. [3]

لعل ما سبق يعطي مسوغاً حقيقياً للنظر الى البعد الاستراتيجي الإيراني داخل المنطقة ووصفه بالتوظيفي للجوانب الطائفية وتركيزهُ على بناء تحالفاته من منطلق الطائفة والانتماء العقائدي وليس على أُسس المقاومة الإسلامية. بصورة عامة لعل الحكم لازال مبكراً في هذا الشأن كونه - التعاون أو التحالف الإيراني مع حماس - عادَ ليتجدد مرة أخرى ففي عام 2017م أصلحت إيران وحماس

[1] . فايز أبو شمالة، الصراع الفلسطيني الداخلي: الأبعاد السياسية والإستراتيجية (بيروت: مركز الزيتونة، 2012).244.

[2] . سالم، صلاح. إيران وحركات المقاومة الإسلامية في المنطقة: دراسة في الجوانب الاستراتيجية والدبلوماسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014.

[3] . حسين، نزار. "حزب الله وحركة حماس: التحولات السياسية والدبلوماسية في إطار المتغيرات الإقليمية." دراسات إقليمية 19، العدد 2 (2016): 112-134.

علاقاتهما حين واجه كُلاً منهما "ضغوطًا متزايدة من الخصوم المشتركين"، داخل المنطقة (إسرائيل) أو خارجها (الولايات المتحدة).

حين تم انتخاب (يحيى السنوار) زعيماً لحركة حماس والذي يحظى بدوره بتأييد من إيران ولطالما تم الإشارة أليه بالولاء المباشر لها في مناسبات عدة. كان هذا أحد العوامل الرئيسية المساهمة في عودة العلاقات المتبادلة بين الطرفين وتحول الى إشارة واضحة عن رغبة إيران بعدم التفريط بنفوذها في (غزة) والمقاومة الفلسطينية مع لأخذ بعين الاعتبار حاجة حماس الى عودة الدعم المالي والعسكري في ظل حصارها المستمر طوال مدة صراعها مع إسرائيل. [1]

يصعب انكار حجم الخلافات التي تم التغاضي عنها من قبل الطرفين (إيران - حماس) حيث إن كلا الطرفين يتقاسمان فهمًا نوعاً عمليًا للمنافع المتبادلة بالنسبة لإيران (حماس) وكيل رئيسي في استراتيجيتها الإقليمية الأوسع ليس فقط لمواجهة (إسرائيل) بل في استكمال مشروعها الاستراتيجي الذي يضمن وجودها الفاعل داخل المنطقة كقوى مساهمة وفاعلة في رسم السياسات الإقليمية والدولية وضمان حقوقها وسلامة حدودها الإقليمية. أما بالنسبة (لحماس) إيران تقدم دعماً لا يمكن الاستغناء عنه لاستدامة جهود المقاومة.

ساعدت المتغيرات السياسية في المنطقة (الشرق الاوسط) المسار الاستراتيجي الإيراني حين تواجدت أكثر من جبهة جديدة ممكن ان تكون منسجمة والتوجه الإيراني فلم تنحسر الدائرة في لبنان (حزب الله) الحليف التقليدي بل اتسعت لتضم (الحوثيين) في (اليمن) والعديد من الفصائل والتشكيلات العسكرية المسلحة في (العراق) التي أبقت على اتصالها المباشر مع (إيران) حتى بعد هزيمة عصابات داعش الإرهابي أستمر الدعم الإيراني للعديد من الفصائل العراقية المسلحة. مع الاخذ بعين الاعتبار التواجد المسبق والمستمر لـ(كتائب حزب الله) في (العراق) أو فرع العراق كما يطلق عليه بعض المختصين.

التوافق الأيديولوجي او الانتماء العقائدي الذي عمدت (طهران) التمسك فيه وجعله محوراً سانداً لتغذية كافة المحركات العسكرية في المنطقة مما جعلها قادرة على تقديم نفسها بصورة الداعم الأوسع للمقاومة الإسرائيلية اقليمياً، حيث شجعت توسيع دائرة التنسيق بين الجماعات العراقية والفصائل الفلسطينية عبر برامج التدريب المشتركة والشبكات اللوجستية التي نشرتها في أواسط تشكيلات المقاومة في لبنان والعراق وغزة واليمن. حين حولت إيران (حزب الله) ووجوده ضمن فواعل المقاومة في المنطقة الى أداة لتنفيذ العديد من الخطوات والمراحل الاستراتيجية الإيرانية داخل المنطقة. لا يمكن انكار الأدوار الحيوية الهامة التي أسهمت فيها (إيران) طيلة علاقتها مع (حزب الله) لكنها (علاقة تخادم ومنفعة) من جانب أول ثم يمكن النظر الى الجانب الثاني "العقائدي والديني" وغيره من المنطلقات التي وسمت هذه العلاقة منذ بداية التشكيل. [2]

جزء هام يتوجب علينا ذكره ودون تردد هو إن تعدد الأدوار والتواجد الفاعل لـ(حزب الله) في مختلف الساحات حوله الى كيان ينظر لهُ العديد من دول المنطقة كتهديد صريح لأمنهم القومي والإقليمي، فهنالك للعديد من دول المنطقة خصوصاً التي تخشى الوجود الإيراني (الشيعي) وعادة ما تنظر أليه على انه تهديد من الممكن ان يمس أمنها القومي. وكثيراً ما تمت الإشارة الى هذه

[1] . نوفل، حسن. "إيران وحركة حماس: علاقة استراتيجية في ظل التغيرات السياسية." دراسات إقليمية 18، العدد 2 (2018): 44-61.

[2] . طرابيشي، جورج. إيران والمقاومة في الشرق الأوسط: دور إيران في دعم المقاومة الفلسطينية وحزب الله. بيروت: دار الساقي، 2017. 261-264.

التحركات بمسميات مختلف تجسدها بأنها أفكاراً سامة غير مرحب فيها تهدد المناعة المجتمعية وتبث الفرقة في أواسط أفراد مجتمعها.

على الرغم من الاختلافات الإيديولوجية فإن التحالف بين (حماس - إيران) يثبت كيف يمكن للأهداف الجيوسياسية المشتركة وتبني (مبدأ التخادم المتبادل) ان يتغلب على الانقسامات الطائفية. بعد بداية الازمة ومصادرة بيوتات (حي الشيخ جراح) رداً على ما أطلقتهُ حماس من صواريخ يبقى الرد الإسرائيلي هو بداية الحرب الحقيقية، ولربما سبباً جوهرياً لتوقف محاورات التطبيع العلنية التي كانت تنتظر الوقت المناسب لتخرج الى النور في سياق يظهر مدى استعداد العديد من الدول العربية لتطبيق خطط واستراتيجيات إسرائيلية ستعمل على حصر صراع (المقاومة الفلسطينية) وقضيتها ضد العدوان الإسرائيلي ضمن محيط ذو توجهات شيعية وكأن القضية نفسها خرجت من هويتها العربية والإسلامية ذات المستوى الاوسع وضيقت لتصبح قضية (حماس) ومن معها من تشكيلات وفصائل شيعية مدعومة من إيران. [1]

المبحث الثالث: منطقة الشرق الاوسط ضمن المعادلة الجديدة:

تضع معطيات الحاضر وفقاً لمجرياتها ومتغيراتها المتسارعة جملة من التصورات لمشهدً جديد مع بعض التكرارات التي اعتدنا عليها في منطقة (الشرق الأوسط) فلسطين ومحيطها الإقليمي تحديداً صراعاً مرحلياً مستمراً وتنافساً باقياً ضمن مراحل متغيرة وفقاً لاستراتيجية رسمها مفتعليه. حين تحول نوع التنافس في الشرق الاوسط من الـ(جيو- اقتصادي) وعودته إلى مرحلته الاولى الـ(جيو- سياسي) والحروب المستمرة، خاصة بعد (عملية طوفان الأقصى) والتي جاءت لإعادة صياغة المشهد السياسي وتمركز (القضية الفلسطينية) على المسرح الدولي، أصبحت الفواعل الدولية تعيش حالة مشابهة لتلك التي كانت آبان (الحرب الباردة)، حيث أفرز الطوفان معسكرات الاصدقاء والاعداء من جديد ضمن معادلة تصفها الدراسة بالجديدة. [2]

المطلب الاول: المنظور الاسرائيلي:

اعتقاد ان كل ما قد حصل ابتداءً من قطاع (غزة) وصولاً الى اخر المناطق التي هاجمتها إسرائيل في منطقة (الشرق الأوسط) هي فرصة لطالما حلمت بها إسرائيل وحلفائها، وقد تم استغلالها فمنذ 7 أكتوبر 2023م. لتبدأ حرب شاملة على المنطقة بحجة الدفاع عن النفس وبمباركة غربية مثل الحيلة التي استخدمت في 11أيلول 2001م وبداية حرب بحجة (الإرهاب).

كانت الفواعل الدولية آبان (الحرب الباردة) تدخل بتحالفات ومع انتصار الرأسمالية على حساب الشيوعية. مروراً بالعديد من المراحل (الدولة القومية) و(للعولمة) حتى جاء زمن الاقاليم وتفتيت المُجزء، هنا استغلت إسرائيل التوجهات الغربية لإعادة صياغة (المشاهد السياسية) فضلاً ديموغرافية (الشرق الأوسط). وظفت عملية (طوفان الأقصى) كعنصرً حاسم لتكوين معادلة جديدة تخدم مصالحها من خلال القضاء على الصقور وصعود الحمائم كمنافسين.

تقسيم المنطقة (الشرق الاوسط) وفقاً لمحاور الخير والشر، طرح جديد نوعاً ما، لكنه متسق مع ما خطط له الكيان الغاصب وحلفائه منذ مراحل تجزئة الجبهات والبداية في معاهدات (السلام

[1] . شحادة، عبد الله. "الصراع العربي الإيراني: تأثيرات حزب الله وحماس على الأمن الإقليمي." دراسات الأمن الإقليمي 6، عدد 2 (2014): 38-59.

[2] . حسين البراري "التحولات الجيوسياسية بعد طوفان الأقصى مركز الجزيرة للدراسات الدوحة: https://studies.aljazeera.net/ar/article/5855 مقال الكتروني .م2023

المنفرد) وصولاً الى استراتيجية طويلة الأمد تم وضعها لتوقف جيل كامل عن التفكير في قضية مركزية كانت تلامس مشاعر الجميع فعندما بدأ التنافس في المنطقة ضمن المرحلة الـ(جيو-اقتصادي) تم من خلالها توظيف (الثقافية) كصناعة يتم تصديرها وتقديمها الى الأجيال الاخيرة التي بالنتيجة أصبحت فردانيةً بطريقة سلبيةً. نعم كانت هناك (حرب الثقافة الموجهة) للوصل بالمجتمعات العربية داخل المنطقة الى حالة عدم الاكتراث لما قد يدور من حولها، وتجهيز جيل صاعد سيتقبل كل ما حصل وسيحدث من متغيرات بمشاعر باردة ويرحب بالعديد من الافكار الدخيلة عديمة الاصول في ثقافتنا العربية والإسلامية حتى تطبيع العلاقات مع إسرائيل سيترجمها على انها مكسب جديد، وان لم تكن مكسب فهي ليست بالخسارة الفادحة.[1]

بدأت العديد من الحكومات العربية بتطبع علاقاتها مع الكيان الغاصب (إسرائيل) - حتى أذا كان هذا التطبيع سرياً أو علنياً - فهي حالة لن تواجه رفضاً ضخماً أو سخطاً عاماً في الأوساط الشعبية. علماً بأن مشاريع التطبيع كانت جزءً في جدول أعمال العديد من الدول العربية داخل المنطقة وعلى رأسها (المملكة العربية السعودية) على سبيل المثال لا الحصر. كل هذه المتغيرات وإيران لا تزال ضمن المشهد السياسي في المنطقة وبصورة غير مرحب فيها من قبل (إسرائيل) و(الغرب) كون وجودها (إيران) يزاحم البيئة المثالية لتكوين المعادلة وبمغادرتها من معادلة التنافس ستنجح إسرائيل في تصدير نفسها كمحور منفرد في (الشرق الأوسط) ومن خلال القضاء على أذرع أيران الاستراتيجية (حزب الله، سورية، اليمن) ثم العراق.[2]

استفاد الكيان الصهيوني من صعود حكومة اليمين المتطرف والتي تنتهج سياسة العنف كموروث توراتي لها (يكون قائم على اعتبار الخسارة في الحرب هي الابادة، والانتصار ببداية أي حرب هي التفويض الالهي للاستمرار)، وعليه بعد الدمار الشامل في (قطاع غزة) والقضاء على قياداته، بدأت بعملياتها البرية ضد (حزب الله)، وفتحت جبهة جديدة لها للاستفادة من تشتت الموقف العربي وسلبيته من قبل غالب حكوماته.

جاء اغتيال أمين حزب الله السابق الشهيد (حسن نصرالله) كنقطة تحول في المشهد السياسي لمحور المقاومة، إذ ترجمت إسرائيل اغتياله كانتصار على حزب الله بالكامل خاصة بعد اغتيال الامين العام المسمى بعده الشهيد (هاشم صفي الدين) وبهذا تمكنت من القضاء على أول جبهة من محاور المقاومة.

تزامنت (هدنة الستون يوماً) مع (حزب الله) حَركت إسرائيل بتفويض من الغرب الجماعات المسلحة (المقاومة السورية) في سوريا وتمكنت من الاطاحة بنظام (بشار الأسد) ثاني المواقع الاستراتيجية لإيران) لتصبح الأراضي السورية عازلاً جديداً لتحجيم الدور الإيراني المتقهقر والمتجزأ لتنتج المعادلة الجديدة للشرق الأوسط ناتج مفادهُ تفرداً إسرائيل وتصدرها كمحور وحيداً قوي دون أي منافس له.

المطلب الثاني: المعادلة الجديدة من منظور محور المقاومة:

طبيعة الصراع الذي تعيشه منطقة (الشرق الأوسط) منذ البدء بعملية (طوفان الأقصى) جعل البيئة الاستراتيجية (المستقرة منذ سنوات قليلة) مضطربة وغير معلومة الملامح لما ستؤول إليه

[1] . عبد العليم محمد " "اتفاقيات أبراهام" والنموذج الجديد للتطبيع: قراءة تحليلية" مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 140 - خريف 2024م. صـ173-

[2] . المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات – سلسلة تقدير موقف (التطبيع العربي مع إسرائيل:مظاهرة ودوافعه) 21/6/2020م صـ4

الاحداث بعد انتهاء الصراع، من خلال تشابك أطراف النزاع دولياً وإقليميا وتجاذبهما لفرض أمر واقع جديد على المنطقة.

فضلاً عن انخراط (الولايات المتحدة الامريكية) في الصراع وكالةً، محاولةً بذلك أعادة ترتيب أوراقها الاقليمية وصياغة توازنات تتسق مع مصالحها القومية، وتأتي تدخلات الولايات المتحدة الامريكية لاحتواء التنامي الاقليمي الايراني في المنطقة والتي باتت تهدد المصالح القومية الامريكية في المنطقة، وباعتبار المشروع الايراني يسعى إلى تشكيل توازنات إقليمية جديدة في المنطقة مبنية على أسلوب (التخادم)، والذي يضر بالمصالح الامريكية والاسرائيلية في المنطقة.[1]

أن تبني أيران لمثل هكذا نهج هو حق مشروع كأي دولة في النظام الدولي لها تجربتها الخاصة والتي تعتبرها ناجحة وتحاول الاحتفاظ بها، سيحتم عليها بناء علاقات اقليمية تتسق وتوجهاتها وأهدافها الاستراتيجية.

جاءت المساعي الإسرائيلية منذ احتلالها للأراضي الفلسطينية الى تأسيس دولتها الكبرى وعملت على الشروع بعملية تجزئة القضية الفلسطينية وجعلها قضية الشعب الفلسطيني فقط، وتحويلها من الاقليمية والدولية إلى المناطقية من خلال تقسيم الداخل الفلسطيني، فضلاً عن إشغال الدول العربية بشؤونها الداخلية المفتعلة، والمضي قدماً بمشروع التطبيع العربي – الاسرائيلي، وتشكيل محور مهادن يتميز بالازدهار والاستقرار والتنمية المستدامة، وفي مقابل ذلك تشكل محور ممانعة للمشروع (الصهيو- أمريكي) في المنطقة متكون من أيران وحلفائها مع المقاومة الاسلامية في فلسطين (حماس).

على غرار ما تقدم أن تشكل محور ممانعة يأتي كرد فعل على التوجهات الاسرائيلية في المنطقة، فضلاً عن تعزيز مكتسبات المحور الاقليمية بالاعتماد على المنظور الايديولوجي لبناء علاقات المحور الممتد بين أيران وسوريا والعراق ولبنان واليمن، وتنفيذاً لسياسة وحدة الساحات نجح المحور بنقل التعاون الاستراتيجي بين أطرافه إلى جانب تعزيز استراتيجية الدفاع الامامي والمواجهة خارج الحدود عبر الوكلاء.

إن استراتيجية وحدة المساحات أتت بثمارها على مكانة أيران إقليمياً وعززت من حضورها في دول المحور، فضلاً عن تحركها باتجاه الخليج لعودة العلاقات ولكسر الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة الامريكية عليها. إلا أن الخسائر الكبيرة التي حلت بأذرع المحور والمتمثلة باغتيال القادة الشهداء (حسن نصر الله، وهنية والسنوار) ألقت بضلالها على توجهات المحور ومعادلته الجديدة في المنطقة والتي تجعلها ضعيفة مقابل المعادلة الاسرائيلية المتمكنة والمدعومة غربياً.

●الخاتمة:

لا يسعنا القول ختاماً غير ان كل مجريات القضية الفلسطينية منذ البدايات وحتى الان تعكس مدى الاهتمام والاعتناء الغربي بمشروعها فكرياً وعسكرياً في الوقت الذي غاب الاهتمام العربي تدريجياً ... (إيجاد ارض لجماعات يهودية متفرقة وسط محيط عربي إسلامي موحد على ارض

[1] . مايكل ايزنشتات " إدارة ديناميات التصعيد مع إيران في سوريا - وخارجها" معهد واشنطن لدراسة الشرق الأوسط تحليل السياسات - المرصد السياسي رقم (2824) 2017،م. صـ3

دولة حازت قدسيةً)، توقعنا عدم التنازل عنها ليتضح لنا حجم معادلة تكونت وبداية المساعي الإسرائيلية الغربية لتخضعنا وتحبط أماني عربية حالمة.

فالوضع الان يسير نحو محو القضية الفلسطينية حتى من الاذهان، وصهر مع تغريب الشعب الأصلي ليس لبناء دولة لليهود أسمها (إسرائيل) بل لزراعة قومية يهودية ستكون قاعدة سياسية وعسكرية استراتيجية وسط العمق العربي لضمان الوجود والتفرد الغربي.

قائمة المصادر:

1. المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات – سلسلة تقدير موقف (التطبيع العربي مع إسرائيل:مظاهرة ودوافعه) 21/6/2020 .
2. بشارة عزمي، قضية فلسطين ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات العامة .الدوحة . 2022
3. جورج طرابيشي ، إيران والمقاومة في الشرق الأوسط: دور إيران في دعم المقاومة الفلسطينية وحزب الله. بيروت: دار الساقي، 2017.
4. حسين البراري "التحولات الجيوسياسية بعد طوفان الأقصى مركز الجزيرة للدراسات الدوحة مقال الكتروني ،2023:https://studies.aljazeera.net/ar/article/5855
5. حسين محمود ، الولايات المتحدة والشرق الأوسط: من الانتداب إلى النفوذ العالمي. بيروت: دار الكتاب العربي، 2014.
6. حسن نوفل ، "إيران وحركة حماس: علاقة إستراتيجية في ظل التغيرات السياسية." دراسات إقليمية 18، العدد 2 (2018)
7. حنان عشراوي ، "اتفاقيات أوسلو: تقييم نقدي." سياسة الشرق الأوسط 10، العدد 1 (2003).
8. رشيد خالدي، هوية فلسطين: بناء الوعي الوطني الحديث. نيويورك: جامعة كولومبيا، نشر الترجمة موسى البديري مؤسسة الدراسات الفلسطينية .1997.
9. صلاح سالم ، إيران وحركات المقاومة الإسلامية في المنطقة: دراسة في الجوانب الإستراتيجية والدبلوماسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014.
10. عبد الله شحاده ، "الصراع العربي الإيراني: تأثيرات حزب الله وحماس على الأمن الإقليمي." دراسات الأمن الإقليمي 6، عدد 2 (2014) .
11. عبد العليم محمد " "اتفاقيات أبراهام" والنموذج الجديد للتطبيع: قراءة تحليلية" مجلة الدراسات الفلسطينية العدد 140 - خريف 2024 .
12. علي إبراهيم أبو بكر ، التدخل الأمريكي في القضية الفلسطينية: من الانتداب البريطاني إلى خطة التقسيم. القاهرة: دار الفكر العربي، 2010.
13. فايز أبو شماله، الصراع الفلسطيني الداخلي: الأبعاد السياسية والإستراتيجية (بيروت: مركز الزيتونة، 2012).

14.فؤاد أبو زيد ، "التحرر الوطني وبناء الهوية الوطنية في العالم العربي." مجلة السياسة الوطنية 8، عدد 3 (2019) .

15.فوزي سالم ، "السياسة البريطانية في فلسطين ودورها في تسهيل الهجرة اليهودية." مجلة الدراسات العربية 4، عدد 1 (2010) .

16.مايكل ايزنشتات " إدارة ديناميات التصعيد مع إيران في سوريا - وخارجها" معهد واشنطن لدراسة الشرق الأوسط تحليل السياسات - المرصد السياسي رقم (2824) 2017.

17.محمود عيسى ، الحزام والطريق: التحديات والفرص في الشرق الأوسط. القاهرة: دار الفارابي، 2019.

18.منى الغباشي . "الفصائل والتجزئة: المقاومة الفلسطينية في العالم العربي." مجلة الشرق الأوسط 59، العدد 4 (2005) .

19.ناثان ج. براون، "الانتخابات التشريعية الفلسطينية 2006: نقطة تحول في السياسة الفلسطينية." مجلة الشرق الأوسط 61، العدد 3 (2007) .

20.نبيل إسماعيل، "حرب أكتوبر 1973: التحولات الإستراتيجية في الصراع العربي الإسرائيلي." مجلة الشؤون الفلسطينية 21، عدد 3 (2014) .

21.نزار حسين ، "حزب الله وحركة حماس: التحولات السياسية والدبلوماسية في إطار المتغيرات الإقليمية." دراسات إقليمية 19، العدد 2 (2016) .

22.يزيد صايغ، المقاومة الفلسطينية: دور السياسة والكفاح المسلح. كامبريدج: جامعة كامبريدج، 1997.